مستقبل الصين

لجناب الامير لحكيم ارسلان

الحكومة في الصين

الصينيون يسمون بلادهم "المملكة الوسطى" لانهم يعتقدون انها وسط الارض ويقولون لها ايضاً "المملكة الزاهرة" وقولـــ الاوربيين "المملكة السماوية" وهو ما يكررونهُ ابدًا غلط مشهور مشوا عليهِ ولم يتأملوا في اصلهِ والحال ان قول شعراء الصين عن البلاد "تيان هيا" اي ما تحت السماء يشمل عندهم الصين وغير الصين

والسلطة كلها في يد الامبراطور او السلطان ولهُ عندهم اسماء والقاب متعددة فيقال لهُ احياناً هوانغ تي (Houang-ti) واحياناً (Houang-tchang) هوانغ تشانغ او تشانغ فقط وقولهم (تيان تسيو) اي ابن السماء لقب تعظيم ولهُ لقب يتخذهُ عند ولايتهِ وهو نيان هاو (Nien-Hau) والامبراطورة القاب ايضاً فمنها هوانغ هيو (Houang-Héou) وكوو مو (Koo-mou) ومعناهُ ام المملكة. والعامة تقول لها تشونغ كونغ (Tchong-Kong)

وذات السلطان عندهم مقدسة وغير معرضة حتى لو كان سلطانهم غشوماً او فاجراً لوجبت عليهم طاعتهُ وتعظيمهُ. قال كنفوشيوس: مهما تكن القلنسوة عالية فمكانها الراس ومهما تكن الاحذية نظيفة فمكانها الارجل

والسلطان هو ابو الامة بل هو ابوها وامها والامة كلها عيالهُ وهو سلطان الابحر الاربعة وسلطان العشرة آلاف امة ولهُ وحدهُ حق القربان لعلتي السماء والارض معبودي الصينيين والارواح. وتعظيم هؤلاء الاقوام لهُ نوع من العبادة فانهم يسجدون لهُ ويسجدون لكرسيهِ ولو كان غائباً عنهُ ويحنون لقصرهِ ولو لم يكن فيهِ واذا ولوا وجوههم شطر باكين ركعوا اجلالاً وتكرمةً واذا ورد امرهُ على احد الوزراء او الولاة احرق لهُ البخور. والاحرف التي يتركب منها اسمهُ لا يجوز ان يركب منها اسم آخر. وتفرق عن غيرها بحركات فاسمهُ ايضاً حرمٌ على الالفاظ وطاعتهُ من طاعة الالهة والامة جميعها عبيدهُ واحترام الابناء لآبائهم انما هو لنيابتهم عنهُ في ابوَّة العيال الجزئية التي تتألف منها العائلة الكبرى الصينية فطاعة الرعية للسلطان تسمى بالطاعة البنوية. واكثر الكتابات المحفورة على ابواب المدن والابنية العمومية والحكم الجوامع التي تتداولها الالسن تشير الى هذا المعنى وتاهيك ان في الصين اشتراكيين وان الاشتراكيين انفسهم لم يجسروا ان يخلوا بمبدإ ابوَّة الامبراطور وبنوَّة الرعية لهُ

واذا مات الامبراطور عمّ الحداد جميع المملكة ومدة الحداد الرسمي سنة واحدة وتبطل حينئذٍ الاعراس والافراح والولائم والمواسم وتبطل حرفة المزينين لاعفاء الناس جميعاً شعورهم مدة الحداد فتلتزم الدولة ان تقوم بمعاشهم. وام الامبراطور تحترمة كالامبراطور لأن مبدأ الحرمة كما قلنا هو الاب والام ولا بد من ان يزورها الامبراطور كل خمسة ايام مرة ويجثو امامها. وكما كان الامبراطور صاحب هذه الحقوق العظيمة كلها على رعيته كانت عليه واجبات نظيرها لهم وهو مسؤول عن رضاهم وسعادة احوالهم. قال كنفوشيوس: اكسب قلوب الامة تملك السلطنة. اخسر محاب الامة تخسر السلطنة. ولكنفوشيوس وصايا تبع على السلطان اتباعها وهي: احترام الحكماء ورعاية ذوي الارحام واكرام العمال وتوقير القضاة وحب الرعية محبة الاب وتعاهد العلماء والبحث عن الصناع وايناس الغرباء ومكارمة الخلفاء

وهذه القواعد لا بد للسلطان من الناس يذكرونهُ بها ويتلونها عليهِ واحدة بعد اخرى ويتلون عليهِ اصولاً اخرى وآداباً وحكماً ربما استغرقت المجلدات ويقيّدون لهُ جميع حركاتهِ وسكناتهِ لتكون محفوظة على الاحقاب ويطلع عليها الاعقاب واعقاب الاعقاب. ومن هذه الجهة تراهُ شخصاً غير مستقل بل هو آلة في يد الامة وانهُ لكونهِ يمثّل الامة يُسأَل عندهم عن سعادتها وشقائها وسرورها وغمها ورخائها وشدتها ولو لم يكن هو سبباً في شيء من ذلك. قال الامبراطور ياو ان اصاب الشعب برد فانا البس فيهِ وان مسّهُ جوع فانا المخطئ ومعها يمسهُ من ضر فعليَّ التبعة وحدي. وكان الامبراطور تشينغ تانغ يقول عند حصول بعض الشدائد: المجرم الوحيد انا لا يستحق الموت سواي. وكان منغتز يقول: لا فرق بين قتل بالسيف وقتل بادارة ظالمة. ولهم كلمات في معنى لابوة والحنان على الرعية من اعلى ما روي عن الملوك. وجدير بملوك قرنوا هذه الاقوال بالافعال ان تتعلق بهم قلوب رعيتهم

والسلطان مطلق السلطة ولكنهُ يعتضد في حكومتهِ بجملة داووين اهمها المجلس الاعظم (Kioum-Kitchou) وعدد اعضائهِ غير معين وكان تأسيسهُ سنة ١٧٣٠ والشامة يقع كل يوم وفيهِ ستون كاتباً للضبط. ثم قلم كتابة السرّ السلطاني (Nei-kou) وكان لهُ شأن خطير في السابق قد زال الآن. وللسلطان اربعة كتبة اسرار اثنان من الصينيين واثنان من المنشوريين وتكون رتبة كاتب السلطان على احد الوزراء او الولاة تشريفاً لهُ باللقب ولو لم يستعمل في هذه الخدمة مثال ذلك الي هنغ تشنغ بسمارك الصين الذي اشتهر ذكرهُ هذه المدة خصوصاً فانهُ وهو والي ولاية "تشيلي" صاحب رتبة باشكاتب السلطنة. وفي المملكة ست نظارات وهي الداخلية وفيها اربعة اقلام واليها مرجع امور الولاة والعمال والمأمورين. والمالية

وهي مرجع الضرائب والجبايات والمكوس. ونظارة الطرق والاحتفالات الدينية وتنطوي تحتها الموسيقى السلطانية. ونظارة الحرب وهي تشمل البرية والبحرية. ونظارة العدلية او العقوبات ونظارة الاشغال العمومية. وسنة ١٨٦١ انشأت دولة الصين نظارة الخارجية المسماة تسونغ لي يامن (Tsong-li-Yaunen) وذلك لمعاطاة اشغال الاجانب حينما كثرت علائقهم بها ويضاف الى الخارجية نظارة اخرى هي من نوع الخارجية لكنها مستقلة عنها وهي ادارة مغوليا واليها رجوع المخاطبات مع الروسية واسم النظارة عندهم پو (pou) ولكل منها ناظران احدهما صيني والآخر مندشوري واربعة معاونين هم من الفريقين كذلك. وهناك قلم مراقبة لاعمال جميع العمال وقد ترقى خدمتهُ حتى لتناول اشغال الامبراطور نفسهِ في الجملة. وللعمال سلطة عظيمة في تلك البلاد فالعامل هو المدير وهو القائد وهو القاضي وهو مأمور السياسة مع الاجانب وهم معتبرون بحسب نيابتهم عن السلطان آباء وامهات للرعية ابوّتهم وامومتهم مستمدتان من ابوة السلطان وامومتهِ وقد يسمونهم "الغام" لانهم بمثابة الغمام الذي يطر الارض رحمة. وكما كانت لهم هذه الحقوق الكبيرة والالقاب الطنّانة فعليهم ايضاً مسؤولية ثقيلة عامة في جميع ما يقع في عملهم. وقد خفّ نفوذ العمال اليوم بسبب رفض الاجانب المفاوضة في الامور الاّ مع مركز السلطنة. والاوربيون يسمون العامل "مندارين" (Mandarin) من كلمة (Mandar) بالبرتغالي وحقيقة اسمهِ "كوانغ"

والعمال تسع طبقات لا فارق بينها بغير الزر الموضوع على القبعة وحلية القصب على الصدر وعروة النطاق. وهم الى حد رتبة (tao-tai) "تاوتاي" يخاطبون بلقب السعادة (ta-jen) ومن جملة القابهم "تشيفو" و"تشيهيان" و"تالاوي" ومن علاماتهم الرسمية ريشة الطاووس يجعلونها في اعلى قبعاتهم بعين واحدة او عينين او ثلاث اعين والجناح الازرق من الغراب هذا في المدنية واما العسكرية فعلاماتهم ذيول الثعالب وهي اشبه بذيول البراذين المستعملة في بلادنا قبلاً فكان هذا الباشا ذا طوخ وهذا ذا طوخين وهذا ذا ثلاثة اطواخ. وعندهم تسعة القاب تشريفية هي بمقام الدوق والكونت والمركيس والبارون الخ وهي "كونغ" و"هيو" و"بي" و"تسو" و"نان" وجميع الأسر الشريفة ذات الامارة الموروثة عندهم ثمان وبقية من بقي فشرفهم بالعلم ليس الاّ. وما عدا اسرة السلطان فاشرف الشرف عندهم سلالة حكيمهم الاكبر كنفوشيوس ولكن لا ذرية السلاطين ولا سلالة كنفوشيوس ينالون شيئاً من الحكم الاّ بعد التعلم والامتحان. وجميع امتيازات ابناء السلاطين عبارة عن رواتب تؤدى لهم من الدولة ونطقٌ حمراء وصفراء يشدون بها اوساطهم وزينة قلانسهم بريشة الطاووس المار ذكرها

واذا خرجوا خرجوا في محفّة تحملها ثمانية اشخاص ومع هذه الحفة وسائر الاعتبار الذي يخفهم فللعمال اذا اذنبوا ان يعزروهم ويجازوهم بل يضربوهم بالقرعة كسائر الناس

وقد يتقادم الشرف العلمي في بيت فيخرج منهُ رجال قلّ على عدة اجيال فيعد البيت شريفاً جدًّا ويبلغ من حرمة اهل الصين لهُ انهم يقدسونهُ وان المذنب من ابنائهِ لا يؤدبهُ الاَّ حاكم من انفسهم واحياناً يحضر ذلك الشريف المذنب من تلقاء نفسهِ لدى الحاكم ويطلب منهُ قصاص نفسهِ وقد تجد امامهُ منتظراً امرهُ فيقول لهُ الحاكم : اصنع ما يوافق. فيقتل الرجل نفسهُ ويقضي قصاص ذاتهِ بيدهِ

وقد يتناول الشرف عندهم ما خلفهُ يعني ان حائز الشرف الجديد تُشرَّف بهِ اجدادهُ خلافاً للمعهود من ان الذي يحصل على لقب شرف او رتبة سنية يترك من ذلك لنويته. ومن حصل على هذا النوع من التشريف الى اوراء السير روبرت هارت الانكليزي مدير الجمارك الصينية

اما الاحكام في الصين فمناطها العلم وحدهُ ولا يتأتى احد عملاً في الحكومة من كلي وجزئي الاَّ بالامتحان واخذ الشهادة . ومكتوب على باب مدرسة " دار العلوم " الكبرى في باكين " هنا علم حكومة البلاد " وكل ارتقاء في المناصب لا بدَّ لهُ من امتحان جديد فكلما ازداد العامل علمًا أُوتي حكمًا . وفي جميع المدن الكبرى تجد بناء كبيرًا هي دار الامتحان مركبة من غرف صغار متجاورة يدخل اليها طلاب الامتحان ليس معهم غير الدواة والقرطاس والقلم ويمنع الخفراء بينهم كل اتصال فيبقون هناك اياماً في كتابة الاجوبة على ما يلقى اليهم من الاسئلة حتى ربما مات الواحد منهم وهو على هذه الحالة حبيس يودي بهِ التعب وحبس النفس فيخرقون لهُ حائط الغرفة ويخرجون منها جثتهُ كيلا يشعر رفاقهُ بموتهِ فينذعروا . والامتحان شاق معضل يكاد يكون محنة بالفعل ولذلك فالفائزون بالشهادة غالبًا اقل من العشرين يتقدم للامتحان واسم الشهادة "سيوتساي" ومعناهُ " البراعة المزيَّنة " ومن هؤلاء من يتقدم كل ثلاث سنوات لامتحان اصعب واوسع فيحبس ثانية ويبقى اياماً عديدة في كتابة القضايا الفلسفية والتاريخية والادبية الخ فاذا نفذ من امتحانهِ كان لذلك طنطنة ورنَّة وتقدمت لهُ التهانئ وقيل لهُ " كيوجن " اي الرجل المترقي وليس من طبقة كيوجن هذه في جميع الصين الا الف وثلاثمائة شخص وبعد ثلاث سنوات من نيل هذه الرتبة يحضر الى امتحان اعلى يجرى في قصر السلطان نفسهِ وهو آخر الامتحانات فاذا نفذ فيهِ حصل على لقب " العلاَّمة الواصل " وهذا الاصطلاح في نيل الدنيا بالعلم والامتحان على العموم اولاً وثانياً وثالثاً على هذا النمط

معروف في الصين منذ اكثر من الف سنة حال كونهِ في اوربا حديث العهد

فقد تقرر ان العلم هو سلم الترقي ومفتاح الحكومة وعليهِ فقد يوجد العامل العالم ولا رأي لهُ ولا حزم عندهُ ويفضل على العامل غير العالم ولو ملك الصواب باجمعهِ والسداد بحذافيرهِ بصفاء طبعهِ وقوة عقلهِ وذلك لأن هذا غير حاصل على الشهادة وذاك حاصل عليها . والملكية اصحاب القلم مكانهم على اليمين حال كون العسكرية او رجال السيف مقعدهم على الشمال واكثر العسكريين من امة المنشو وهؤلاء ولو كانوا هم الغالبين على الصين والسلطان منهم فانهم يعظمون الصينيين اكثر من انفسهم ويقولون ان آلات السلم مقدَّمة على آلات الحرب وكلام الصينيين على السلم كثير مستفيض وحيث تطلعت وجدت مكتوبًا على الابواب عبارات تشير الى هذا المعنى مثل قولهم : للمملكة التي تحت السماء سلام . وما اشبه ذلك

الاَّ ان العقوبات في الصين صارمة والتدقيق والتروِّ بالشبهات مفقودان فيها وقد تقبل الشهادة جزافًا ولا يقام وكلاء عن المتهم وقد يوكل القاضي في الحكم ويُعذَّب الشهود والمتهمون بقلع الاظفار والجلد والضرب وانواع اخرى من التعذيب مثل كشط الجلد وسلخهِ وهم يتفننون في هذه الفظائع تفنُّنًا ولكن يظهر ان الجهاز العصبيَّ عند الصينيين اقل احساسًا مما هو عندنا بكثير والاطباء الاوربيون في مستشفيات شنغاي وهونكونغ يذكرون مع التعجب البليغ عدم تأثر الصينيين تحت آلات الجراحة

اما القتل فيقع بالخنق وضربًا بالسيف بعد التعذيب الذي ذكرناهُ وانما الغت المحاكم المختلطة في شنغاي تعذيب المجرمين وخفف استعمال هذه الامور في جميع الجهات شيئًا فشيئًا واما الضرب فكان جزاء اصغر الجرائم ومثلهُ الحبس والسجون هناك طبقات بعضها فوق بعض

وقانون الجزاء عند الصينيين العين بالعين والاذن بالاذن ولكن يُقبل التوكيل في تلقي القصاص فالغنيّ يستأجر من يحتمل عنهُ العذاب بمالهِ والفقراء يتراكضون عند وقوع الفُرَص لاجل ان يتوكلوا عن المحكوم عليهم فهم يؤجرون اجسادهم وجلودهم بدنانير معدودات حتى قال لو يس لكونت في كلامهِ على الصين الحاضرة ان كثيرًا من اهل الصين عائشون من ضرب العصي . والمرأة لا تُجزى وانما يجزى ولدها او زوجها عنها ولذلك فالاصل الشريف الذي تمتاز بهِ الشريعة المحمدية وهو "ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى" غير مجزوم بهِ في الصين. وقد ترى اثر ذلك في جميع سياستهم فهم يقتلون الوالي اذا حدثت في ايالتهِ فتنة ولو كان طاهر اليد منها وهم يجزون رئيس العائلة عن وزر اقترفهُ احد ابنائها ولو بدون علمهِ وهم يهلكون قائد جيش انهزم ولو لم تكن عليهِ تبعة تلك الهزيمة وهلم جرًّا. واذا اختصم اثنان وقتل احدهما نفسهُ انقضت

صواعق الغضب كلها على قمة رأس خصمهِ سبب هذا اليأس ولو صادف ان قاتل نفسهِ هو المخطىء ولا يزال الناس بالخصم الباقي حيًّا حتى يهلكوهُ. ومن عادتهم انهم يضعون في يد قاتل نفسهِ بسبب الخصومة مكنسةً ويحركونها بمنةٍ ويسرةٍ كانها تومىء الى كنس سعادة خصمهِ كنسًا وهم في هذا الباب غرائب

على ان اجراء القصاص (القتل) كما في سائر البلدان لا بد لهُ من امر السلطان وانما يمتاز سلطان الصين عن غيرهِ بانهُ يوقع انفاذ اكثر هذه الاوامر في فصل الخريف فهو عندهُ موسم حصد الرقاب

وقد ساءت احوال العمال والقضاة في بلاد الصين فلا تنظرنَّ الى تدقيقهم فيما قدمنا من بعض الاصول الكافلة للعدل فمن يسمع يخَلْ وانما احوالهم احوال اكثر البلاد الشرقية والظلم فاشٍ عندهم والرشوة افشى وتجالس الحكام مآسد يخاف انيابها الناس ولا تطمئن اليها القلوب وانما أوَّلُ هذه الحال الامبراطور "كانغي" سلطان الصين تأويلاً لا بأس بهِ على علاَّتهِ فقال: لا يضر خوف العامة من القضاة واود لو ان جميع المتقاضين يعاملون بالقسوة كي يخاف الكل غشيان مجالس الحكم ويضطر ابناء الوطن الى انصاف بعضهم بعضاً وتحكيم شيوخهم فاما الملحنون اللداد والمشغوفون بالخصومات فليستبد بهم القضاة ما شاءوا. كانهُ يقول انهُ يلزم تأديب الظلم بالظلم وفيهِ شيءٌ مما كان يقولهُ السيد علي بن ميمون المغربي الوالي من ان العامة فيران والحكام سنانير ولا بد لهذا من هذا

الجيش في الصين

اما الجيش في الصين فهو قاصر جدًّا عن حاجة المملكة سواء في العدد او في العدد او في العلم او في الاقدام وخَلَقَ الله للحروب رجالاً. وهو عندهم جيشان احدهما الجيش المنشوري القديم وهو المعروف بالرايات الثمان ومؤلف من المنشوريين والمغول ومن بعض الصينيين وكل راية منها تنقسم الى ثلاثة الوية فتصير الجملة اربعة وعشرين لواءً وكل لواء منها يقودهُ قائد اسمهُ (توتونغ) وهذا هو جيش العاصمة

واما الجيش المنتشر في الولايات فيعرف بالراية الزرقاء (لونغ) وينقسم الى قسمين برّي وبحري واسم البرّي (لولو) والبحري (شويش) وكبار القواد فيهِ من اصحاب رتبة فريق يقال لهم (تيتو) او (تيتاي) ثم يأتي بعدهم امراء الالوية ويقال لهم (تسونغ بينغ) وامراء الآلايات واسمهم (فوتسيانغ) وهلمَّ جرًّا الى رتبة جاويش وكلها القاب مملكة في غير موضعها لانهم لا يتعلمون ولا يتدربون ولا يعرفون التمرينات الحربية وانما يشتغلون وقات السلم باصلاح الانهار

وسد الترع وهم موزعون على ولايات المملكة وكل فرقة منهم لا تخرج من الولاية التي هي فيها ومع ذلك فجميع عددهم لا يتجاوز خمسمائة الف على رأي الانسكلوبيديا الفرنسوية الكبرى ورسكوس في جغرافيته يقول ستمائة الف وانهُ مقسوم الى ثمانية عشر معسكرًا وان الجيش الاول المعروف بالرايات الثمان عددهُ مائتان وثلثون الفًا . ولقد كان هذا الجيش في الماضي عمدة الصين فاصبح الآن كلاًّ على عاتقها وفقدت من المتدشوريين والمغول الحماسة القديمة فضلاً عن كون الحرب اصبح بالعلم وصارت لا تنفع معهُ الحماسة على فرض وجودها

اما القوة البحرية فهي وان تكن غير كافية ايضًا اوفى جدًّا من القوة البرية وملاَّحة الصين مدربون قوامون على البحر ولا يهزأ بهم في القتال وقد كان عند الصين سنة ١٨٨٠ اسطول مؤلف من ٤٠ بارجة محمولها ٢٠ الف طن وفيها ٢٣٨ مدفعًا وعلى سواحل الصين حصون عديدة مثل حصون كنتون وشنغاي وتاكو التي استولى عليها الجيش الاوربي اتحد هذه المرة وعندهم دار صناعة بحرية في فوتشو ودار اخرى في كاوتشانغ ولو كان الصينيون معتنين بامور الحرب لابقوا النبطان لانغ الانكليزي الذي كان عندهم في خدمة الاسطول اذ افادهم فيهِ فائدة عظيمة لكنهُ من كثرة ما كان يلقى من المقاومة في ادخال الاصلاحات استعفى من منصبهِ فقبلوا استعفاءهُ وحرموا بلادهم فوائدهُ كذلك لا تجد لهم عناية كافية في اصلاح جيشهم البريّ فهو باقٍ على اصول الحرب القديمة التي تسخها هذا العصر كما يسخ الظلام الضياء وبهذا صارت الشرذمة من الجنود النظرية تفي بالجيش الكثيف من رجالهم ولم يكن ذلك خاصة نزلت في دماء الغربيين وانما هي نتيجة العلم وهؤلاء اليابانيون شرقيون كالصينيين واعرق منهم في التشريق اصبح لهم جيش يباري جميع الجيوش الاوربية صولةً وبطشًا مع صغر اجسامهم ودقة عضلهم وقد ظهر اثر ذلك في حرب الصين مع اليابان اذ والوا عليهم الهزائم واحدة بعد اخرى ولم يقف الصينيون في وجههم ولا في موقف وذلك لان الجهل لا يثبت لحظة في وجه العلم. وقد تحققت مباراة اليابانيين الاوربيين في الحرب الحاضرة فلم يكن من اصناف الجيش المتحد من فاق اليابانيين في اقدام ولا في حسن تدريب وكانت لهم اليد الطولى في استنتاج مغالق تاكو والكفة الراجحة في دخول باكين . والصينيون انفسهم الذين صاروا مثلاً في الجبن وخور العزيمة لو نظموا جيشهم على نمط جيوش اوربا لحرروا بلادهم بل ربما اندفقوا على بلاد غيرهم والتزمت سائر الدول ان تتحد عصبة للرد عاديتهم. وانت ترى الآن الفرق الشاسع بين حربهم سنة ١٨٦٠ مع الاوربيين وحربهم اليوم اذ اشتروا عدة من الاسلحة الجديدة والمدافع بل حربهم الاخيرة مع اليابان فانهم هذه المرة ثبتوا ثباتًا غير معهود لهم من

قبل هذه المدة . او ليس المغول الذين تراهم الآن رائعين الذل هم ابناء المغول الذين دوخوا الارض وملكوا نصف المعمور ولم يقف احد امامهم او ليست دماء اولئك الابطال من قوم جنكيز تجري في عروق هؤلاء الاذلال من قوم السلطانة شي ؟ بلى وانما ولد اولئك على صهوات الخيول وعاشوا تحت ظلال السيوف فعظمت ملكتهم في القتال واعانهم عديدهم فسحقوا كل قوة صادمتهم وانغمس هؤلاء في الدعة واسترسلوا الى السلام وظنت الصين منذ قرون انها اكتفت قوة وتجدا وبسطة في العلم والجسم فالفت الحرب ونوت ان لا تقاتل غريباً ودرج على ذلك الصينيون مدة اجيال حتى نسوا معنى الحرب وحتى صارت دولتهم تقاتل في عقر دارها وتستباح قاعدة سلطانها وهم لا يهتزون ولا يكادون يشعرون ومن شدة ميلهم الى السلم وقعوا في الحرب نعم هؤلاء ابناء اولئك ولكن الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم . واخذ الصين بمبادىء السلام واعتمادها على ما يقوّي جسم المملكة من اركان التجارة من نحو صناعة وزراعة وتجارة مما لا ينكر في حياة الممالك ولكن ذلك لا يغني عن ارهاف الحد . والجسم الانساني لا تغنيه الكريّات الحمراء التي في الدم وبها قوام الجسم عن الكريّات البيضاء التي تقاوم الميكروب العادي عليه فالمملكة الصينية غير قليلة الكريّات الحمر ولكنها تقريباً معدومة الكريّات البيض ومعها تتاخى العمران وعظمت الثروة وتوفرت الاعداد وادمنت البلاد فلا يغني ذلك عن السيف وانما يُدرأ الشرّ بالشر ويصان الدم بالدم ورحم الله القائل الذي لا تخلق دياجيهُ

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

تيقُّظ اليابان

لنعجبنا من اليابانيين تيقظهم واعتبارهم بكل شيء واستفادتهم من كل حادثة مثال ذلك انهم يطعمون جنودهم الارزّ مطبوخاً فلما اعوزهم الماء للشرب في حربهم الاخيرة مع الصين ولم يجدوا ماء لطبخ الارز اضطروا ان يحاربوا على الطوى ولذلك عزمت حكومتهم ان تغير جرايتهم وتبدل الارز بغيره من الاطعمة التي لا تحتاج في طبخها الى كثير من الماء . ويلبسون جنودهم ثياباً بيضاء فرأوا انهم يُرَوْن بها عن بُعْد فتسهل اصابتهم بالرصاص ولذلك عزموا ان يجعلوا لون ثياب الجنود اصفر ترابياً حتى لا يظهروا بيد عن بُعْد وان يغيروا لبس الرأس حتى يقيهُ من الشمس . ويقال انهم لما هجموا على بكين وفتحوا احد ابوابها بالديناميت كان مع قوّادهم تناديل كهربائية يحملونها بايديهم